

## الشيخ أمجد الأحمد : صناعة التجهيل

يقول تعالى: (فَاسْتَخَفَ قَوْمًا فَأَطَاعُوهُ إِذْ هُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسْقَيْنَ) (54)

(الزخرف)

مقدمة :

حيث كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام هي حركة هدفها انتشال الأمة من حالة الجهل والتجهيل التي فرضت عليها إلى أرض الوعي وال بصيرة كما ورد في زيارة الأربعين (وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الصلاة).

تحدد الخطيب حول محاور صناعة التجهيل في ثلاثة محاور أساسية:

الأول: بيان معنى التجهيل

الثاني: مناشئ التجهيل

الثالث: أساليب التجهيل

المحور الأول: مفهوم التجهيل

بين الخطيب مفهوم التجهيل في تعريفين:

الأول: هو ممارسة اجتماعية تأمل على تعطيل العقل وطمس الفكر وإلغاء التفكير ليكون الإنسان فقداً للرأي والتحليل والنقد.

الثاني: هو استخدام المعرفة الممنهجة في توجيه شريحة من الناس أو شعب بأكمله فيما يخدم هدف جهات هذه الصناعة إما باستبدال حقائق بجهل أو بزيادة على الحقيقة ما ليس فيها أو نقصان من الحقيقة

لفرض تشويبها وذلك لتحقيق أهداف صناع التجهيل.

أكد الخطيب من واقع هذين التعريفين على وجود صناعة حقيقة وإنما تقدم للناس اسمها الجهل بل أصبح علماً وفناً له أدراجه وأهدافه ومناهجه تمارس على الناس صناعة التجهيل وإعطائه مغالطات ليتصور أنه يفهم وهو منغرس في الجهل.

كما أوضح الخطيب بأن صناعة التجهيل موجودة منذ القدم وأن فرعون يعد رمزاً من رموز التجهيل ، يقول تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَقَوْمٌ مَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَرَوُنَّهُمْ كَمَا يَرَوْنَا فَإِنَّهُمْ لَغَافِلُونَ) الزخرف 54. ويتبين من الآية الكريمة أن على القوم مسؤولية حيث وصفهم بالفاسقين لأنهم قبلوا أن ينقادوا إلى فرعون وأن يستخف عقولهم.

ولفت الخطيب بأن القرآن الكريم يأمرنا بمزيد من التفكير والتأمل بل وعلى التفكير النقدي حتى في الآيات الكريمة، يقول تعالى: (وَاللّٰهُمَّ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهِمَا صُمّاً وَعُمُّيَاناً) الفرقان 73. وفي هذا المعنى يقول ابن سينا: كُلُّ مَا قَرَاعَ سَمْعَكَ مِنَ الْفَرَائِبِ فَذَرْهُ فِي بُقُوعَةِ الْإِمْكَانِ مَا لَمْ يَذُدْكَ عَذْدَهُ قَائِمٌ الْبُرْهَانِ.

## المحور الثاني: مناشئ التجهيل

للتجهيل أسباب وخلفيات منها:

1- الاستعداد النفسي الذاتي للتجهيل: يأتي السبب الأول لأسباب التجهيل هو قبول واستسلام الفرد أو المجتمع أن يمارس عليهم هذا التجهيل كما هو واقع مع قوم فرعون ، فإنهم أرادوا الاعتذار ولكن لم يقبل اعتذارهم، يقول تعالى: (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْنَعْتُمُونَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ الدَّارِ) قوله تعالى: (فَقَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلِكُلِّ نَّعْلَمٍ) الأعراف 38 .

2- ارتداء فاعل التجهيل لرداء القداسة: يجعل فاعل التجهيل نفسه مقدساً ليخدع بذلك تقدس الناس لمكانة العباءة ونراحتها في نفوسهم وهذا ما خدع به فرعون قومه عندما قال في قوله تعالى: (فَقَالَ أَرَى رَبُّكُمْ أَلَّا يَرَى) النازعات 24. ، وكذلك استخدام صانع التجهيل لمصطلحات الأنبياء والمصلحين في قوله تعالى: (فَقَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرْيَكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيَكُمْ

إِنَّ لِلَّهِ بِيَمِينِ الرَّشَادِ) غافر 29. وفي ذلك أمثلة أخرى كما في خطبة ذلك الرجل في قوله: "ما قاتلتكم لتملوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتجروا ، ولا لتزكوا ، وقد أعرف إنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأنكم على غير الحق". وكذلك في أحوال حراس المعبد في قصة النبي ﷺ يوسف عليه السلام حيث كانوا يختلسون أموال الناس بعنوان القدسية.

3- الإعلام المضل: بين الخطيب بأن صناع التجهيل يستخدمون وسائل الإعلام في تضليل الناس ونشر الإشاعات والمعلومات الخاطئة ليكون الناس أسرى لهذا الإعلام. كما كان الإعلام الموجه ضد أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الوقت حيث كان يسب ويلعن على منابر الشام وحين وصل خبر استشهاد الإمام علي عليه السلام في مسجد الكوفة إلى مسامع أهل الشام أحدث صدمة لديهم فسألوا: وهل كان عليٌ يصلح؟! . وكذلك الإعلام المضل في قضية مقتل سيدنا عمار بن ياسر حيث تقتلته الفئة الباغية إذ نادى عمر بن العاص: (أيها الناس إن الذي قتل عمار هو علي بن أبي طالب لأنه أتى به إرض المعركة فجعله طعنة لسيوفنا ورماحنا).

4- ثقافة النفعية: يمارس صناع التجهيل خداع الناس لأغراضهم الخاصة مادية أو من أجل مكانتهم الشخصية أو علاقتهم الخاصة ومناصبهم. ويستشهد الخطيب من شقيقية أمير المؤمنين: (وَقَامَ مَعَهُ بْنُو أَبِيهِ يَخْصِمُونَ مَالَ الْخَصْمِ إِلَيْهِ الْأَبْلَى نِيَّةً الرَّبِيعِ).

5- القدوة الفاشلة: شدد الخطيب على أن من أبرز ما يصنع الجهل والتجهيل في المجتمع هو وجود القدوة الفاشلة الفاقد للأهليّة ونتيجة ذلك هو الضياع.

6- البخل بالعلم والتعليم: إن تخلي العلماء والذكور المثقفة والذكور عن مسؤولياتهم تجاه المجتمع يؤدي إلى فراغ في الساحة يتم استغلالها من قبل الخرافيين والتجهيليين. وحث الخطيب على تحمل المسؤوليات كما وصف القرآن النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَادٍ) التكوير 24. أي أن النبي صلى الله عليه وآله غير بخيل على الناس بتعليمهم ما عليهم، وأنزل إليه من كتبه. وكذلك ما كان للحسين عليه السلام مجلساً لتعلم الدين.

7- العقل الجمعي: هو انقياد الإنسان للجماعة بلاوعي، وقد حذر الخطيب من صناعة مثل هذه الجماعة فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجا، وهمج رعاع ينبعون مع كل ناعق). وأن محاولة تسقيط الآخرين واتخاذ الموقف بلاوعي هو من صناع التجهيل.

لصناعة التجهيل عدة أساليب أوردها الخطيب بشكل مختصر.

الأول: أسلوب الإلهاء وهو إلهاء الناس عن الفكر والثقافة والوعي وذلك بالفساد والأفلام الجنسية والإعلام والفن الهايي ومتابعة نجوم وبعض مشاهير التفاهة في السوشل ميديا وقضاء الساعات عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وللقضاء على تدمير ثقافة شعب لست مضطراً أن تحرق كتبهم فقط امنعهم من القراءة كما يقول أحد الغربيين.

الثاني: أسلوب طرح الشبهات: وذلك لضرب ثوابت الدين لتشكيك الناس وإشعارهم بالضياع باسم الثقافة وهذا أسلوب من أساليب التجهيل.

الثالث: أسلوب تنزيه العدو من التآمر، فالبعض يصف الناس بالتخلف لعدم الإيمان بنظرية المؤامرة بينما العدو يعتقد هذه النظرية في بلده وهذا العدو يعترف بالتأمر على غيره. وأكد الخطيب بأن القرآن يقر بنظرية المؤامرة في كل زمان في قوله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْتَدُ وَابْرَطَنَّةً مِّنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَارًا وَدَوْمًا مَا عَذَّتْ مُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۝ قَدْ بَيَّنَ لَكُمْ أَلْيَاتٍ ۝ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) آل عمران 118.

الرابع: أسلوب تبديل القيم وقلب الموارزين، حيث يقوم صناع التجهيل بذلك عن عبر الأفلام والمسلسلات والإعلام بطريقة استبدال الحقائق وتصوير الضحية مجرماً والمجرم ضحية وأن ترى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وتغيير مفاهيم القيم فيسمى الزنا حب والقرآن يقول (إِنَّمَا كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) الإسراء 32، والسخرية من الآخرين يسميه مقلباً أو باسم الكاميرا الخفية مثلاً، وتسمية التفسخ الأخلاقي بالحرية الشخصية ، كما يأتي بقيمة دينية وتنميتها بشكل سيئ للوصول إلى قناعة بأن هذه القيمة أمر سيئ كمسلسلات لبس الحجاب للمرأة الضعيفة ومقابلها المرأة الغنية وهي سافرة بدون حجاب. وكذلك تصوير جعل بطل أحد الأفلام مثلاً ممارس للرذيلة. وكل هذا من باب الترويج وصناعة التجهيل.

الخامس: شيطنة المؤمنين والمتدينين، كما في حال فرعون وشيطنته ضد النبي ﷺ موسى عليه السلام يقول تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرْ رُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَأْدُعْ رَبَّهُ إِنَّمَا أَخَافُ أَنْ

بُبَدَّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْفَسَادِ) غافر 26. ، وكذلك مع قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى: (فَمَا كَانَ جَوَابًا قَوْمَهِ إِلَّا أَن قَاتَلُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) النمل 56.

كما حذر الخطيب من صناع التجهيل في أنهم يستخدمون الدين للتجنيش والتحريض ضد المؤمنين والمتدينين أو شخصية علمائية لتسقيطهم كما في قصةنبي إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: (قَاتَلُوا حَرَقُوهُ وَانصُرُوا آلَهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعْلَمْ) الأنبياء 68.

ال السادس: بث الخوف في قلوب الناس، كتخويف الناس من قراءة بعض الكتب وكذلك خلق أعداء وهميين ليخوف الناس منهم وهذا ما استخدمه بن زياد عندما دخل الكوفة وسيطرته على قصر الإماراة حيث خوف الناس بقدوم جيشاً من يزيد إلى الكوفة للابتعد عن مسلم بن عقيل عليه السلام.